خلفية الاحداث في ايران :

شاه ايران : سياسة القمع والارهاب تفقد فعاليتها بصورة متزايدة

ترسانة السلاح تبتلع "نوايا الاصلاح"!

« ان الاجواء غريبة في هذه المدينة المرتقبة والتي تغلي بالشائعات ، وقد هزتها رياح الانتفاضة . ولا يبدو معارضو الشاه في اي مكان ولكنهم في كل مكان ، في الوقت نفسه » .

بهذه الكلمات ، وصف احد الصحافيين الاجانب الحالة السائدة في العاصمة طهران ، خلال الاحداث الدامية التي شهدتها مدينة تبريز وغيرها من المدن في انحاء ايران ، والتي لا تزال مستمرة باشكال مختلفة من النضالات ضد نظام حكم الشاه .

لقد اثارت انتفاضات قم وتبريز وغيرها من المدن ، السؤال عما اذا كان الوقت قد حان لنهاية العرش البهلوي . وربما لم يحن الوقت بعد ، ولكن بعد اكثر من سنة ونصف السنة من الانتفاضات الجماهيرية الشعبية ، من اعمال الشغب المنظم ، من الاضرابات العمالية المتميزة ، ومن التحركات الاحتجاجية الاخرى ، لا يسع اي مراقب سياسي مهما كان توجهه ، الا ان يعترف بان ثمة تحديا جديا لسلطة نظام حكم الشاه ، يجبره على نقل اهتمامه من على شواطىء ايران وما وراءها ، الى الداخل .

ان الانتفاضات التي بدأت هذه السنة في مدينة قم القريبة من طهران طوال ايام ٧ و ٨ و ٩ كانون الثاني الماضي ، تكررت بعد اربعين يوما ، واستمرت تتكرر كل اربعين يوم (فترة الحداد الديني) وامتدت لتشمل مدن اخرى ، ابرزها مدينة تبريز . وحتى اوساط الحكومة التي كانت تواجه الانتفاضات بعمليات القمع المتشددة ، لم تستطع سوى الاعتراف بالاهمية « الجديدة » لما يحصل في المدن الاقليمية منذ بداية السنة ، بالمقارنة مع الانتفاضات المتقطعة في الماضي . واكدت احداث تبريز العنيفة في ١٨ و ١٩ شباط الماضي هذه الاهمية « الجديدة » . فقد بدت التظاهرات مميزة في تنظيمها وتكتيكها وسلوك المشاركين فيها . كذلك اكدها امتداد السنة اللهب بسرعة ، من تبريز الى المدن الاخرى . واضطرت السلطة الى انزال قوات الجيش في تبريز بعد فشل قوات الشرطة في السيطرة على الوضع . ودخلت الدبابات لتقوم بالمهمة ...

ولم تمر مرورا عابرا على السلطة ، الميزة التي طبعت الانتفاضات . والحملة التي شنتها اجهزة النظام الاعلامية ضد من كانت تصفهم « بالمخربين » الذين يدمرون الممتلكات الخاصة ، فشلت في تحقيق غرضها : فقد هوجمت البنوك فعلا ، ودمرت محتوياتها ، ولكن هذه البنوك لم تتعرض للنهب . وهوجمت مراكز اخرى حيث تم احراق ملفات ورزم من الاوراق المالية ، ولكن هذه المراكز لم تنهب . وكانت اهداف الهجمات مختارة بدقة . كانت تشكل رموز ما تنتفض ضد الجماهير الشعبية الايرانية . وحتى الصحافة الغربية الامبريالية لم يسعها الا الاعتراف بهذه الظاهرة في سلوك المتظاهرين خلال الانتفاضات .

واذا ما استثنينا عمليات الاستفزاز السياسية التي كانت تقوم بها السافاك (الشرطة السرية) والحوادث التي نتجت عنها ، فان الانتفاضات الجماهيرية التي تعيشها ايران منذ اوائل هذا العام ، لم تكن انتفاضات غير منظمة ومن دون هدف .

■ لقد هوجمت المصارف . وهوجم بنك « صادرات ايران » الذي كان تعرض قبل مدة لدعوة من علماء الشيعة الى المؤمنين بمقاطعته . وكان المصرف قد اتهم بانه يقدم الى الشرطة السرية ، معلومات عن حسابات خاصة ، وبصورة خاصة عن تلك المخصصة لمساعدة المعتقلين السياسيين .

■ وهوجمت مراكز حزب « راستاخيز » في مختلف المناطق . وهذا الحزب هو حزب النظام والحزب السياسي الوحيد المشروع ، المسموح به في ايران .

■ وهوجمت ايضا دور للسينما تعرض افلاما خلاعية . ومخازن لبيع اجهزة التلفزيون . ولكن ... وكما قال صحافي ايراني لمراسل اجنبي ، كان هناك دائما ، سبب خاص لمهاجمة اي مقر او اي مكان ، الا ان الحقيقة تبقى التالية : كان لكل هذه العمليات عامل مشترك . كانت كلها موجهة بصورة مباشرة او غير مباشرة ، ضد النظام الامبراطوري .... (!)

ومن الميزات الاخرى ذات المؤشر السياسي ، التي تميزت بها الانتفاضات ، انها كانت تشتعل في مدينة ثم تنتشر الى عدد من المدن الاقليمية الاخرى ، تهدأ قليلا ، ثم تتجدد بانتظام ملحوظ . الامر الذي يؤشر الى ان هذه الانتفاضات المنظمة ستستمر على هذا النمط طوال الاشهر القادمة .

ولوحظ من ناحية اخرى ، ان الصحافة المكممة عادة ، والتي لم يكن يسمح لها حتى الانتفاضات الاخيرة ، بالكتابة عن نشاطات القوى المعارضة للنظام ، كانت تغطي بشكل يومي وعلى صفحاتها الاولى ، انباء « الاضطرابات الاقليمية » . وظلت احداث تبريز تحتل الصفحة الاولى طوال اسبوع كامل . وبدا من ذلك ، ان نظام الشاه قد تعمد هذه التغطية الاعلامية المنحازة اليه بالطبع ، لاستثارة مخاوف الناس من « اعمال الشغب » ومن « المشاغبين » ، و « النشاطات الهدامة التدميرية » ، لردع اي تعاطف وحتى يستطيع « الاثبات » بان عملية « الانفتاح » على اجواء ليبرالية في البلاد ، من شأنها ان تؤدي الى كارثة ... (!)

ان العوامل التي تكمن خلف الاحداث الدامية في ايران يمكن جمعها تحت عنوان طموح شاه ايران على جعل بلده خامس قوة عسكرية في العالم ليتمكن من تحقيق اطماعه بالهيمنة والتوسع ، ويساعده في ذلك التقاء مطامعه مع مطامع الامبريالية في المنطقة . وهذا التوجه لنظام الشاه جعله يركز على التسلح ، على الانفاق العسكري الباهظ ، على حساب حاجة جماهير الشعب الايراني الى التنمية وتحقيق التطور الاجتماعي والاقتصادي .

ان استراتيجية القوة هي ميزة السياسة الايرانية . والمركزية الشديدة هي ميزة النظام ، والقمع والارهاب هما سياسته في الحكم . ويمكن لارقام انفاق النظام على التسلح ، ان تتكلم وحدها وبفصاحة ، عن هذا النظام المعادي لمصالح ، لقضايا ولحاجات جماهير الشعب الايراني - وتبديده للثروة النفطية في خدمة مطامعه ، وفي خدمة المطامع الامبريالية في المنطقة.

لقد بلغت الميزانية العسكرية الايرانية لسنة ٧٤ - ٧٥ ما يعادل ٧٨٠٠ مليون دولار . اي ما يعادل ٢٩،٤ بالمائة من مجمل نفقات الميزانية العامة . وارتفع هذا الرقم في سنة ١٩٧٦ الى ٨٠٠٠ مليون دولار . وفي سنة ١٩٧٧ - ١٩٧٨ بقيت الميزانية العسكرية لايران ما يساوي ٨٠٠٠ مليون دولار . وبحسب تقديرات « المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية » في لندن ، فان النفقات العسكرية في ايران استوعبت نسبة تزيد على ١٧ بالمائة من مجمل الايراد الوطني ، هذا مقابل ٣ او ٦ بالمائة فقط ، للدول الاعضاء الرئيسية في حلف شمال الاطلسي !!

ويتركز اهتمام نظام الشاه في هذا المجال ، على ناحيتين : الاولى تغطية ايران بشبكة من المنشآت العسكرية ، من قواعد ومراكز اتصالات عسكرية ، تنتشر على طول السواحل الايرانية ، على الخليج العربي والمحيط الهندي . ويجري العمل حاليا لانشاء قاعدة بحرية وجوية على الحدود مع باكستان ، ستكلف ٦٠٠ مليون دولار . والثانية ، الحصول على افضل المعدات العسكرية واحدثها لتزويد القوات المسلحة الايرانية . وقد بلغت قيمة المعدات العسكرية التي اشترتها ايران من مصانع السلاح الاميركية في سنة ١٩٧٣ ، ٤ مليارات دولار . وبلغت في سنة ١٩٧٤ ، مليارى دولار ، وعاد الرقم ليرتفع مجددا بدءا من سنة ١٩٧٥ . وقد ساعد تضاعف اسعار النفط نظام الشاه على الاغراق في سياسة التسلح هذه .

ولكن كان لا بد لهذه السياسة الرعناء ان تشعل فتيل النقمة الشعبية العارمة التي شهدناها تتفجر بصورة متعاظمة منذ بداية هذا العام . فالطائرة الحربية لدى نظام الشاه مفضلة على طبيب ومستشفى . وقطعة السلاح مفضلة على رغيف الشعب . وبالاضافة الى ذلك ، فقد فتح الشاه باب ايران على مصراعيه لسيطرة الرساميل الاميركية التي وصل نفوذها الى حد التدخل في معظم شؤون البلاد ، بدءا من نهب موارد النفط الى تدريب العسكريين الايرانيين ودعم النظام في قمع نضالات جماهير الشعب الايراني الكادحة .

لقد وصل تدهور الوضع الاجتماعي والاقتصادي نتيجة هذه السياسة ، الى حد ان التربة الايرانية باتت تربة خصبة لنمو المعارضة بل والعداء لنظام الشاه ، ولانفجار الانتفاضات الجماهيرية المنظمة التي شهدناها اخيرا ، برغم سياسة القمع والارهاب التي ينتهجها النظام . فقد اثبتت تلك الانتفاضات الانخفاض المتزايد لفعالية الدبابات في ترهيب الجماهير وردعها عن التعبير عن ارادتها . ومجرد لمحات سريعة عن الظروف الحياتية التي يعيشها المواطن الايراني العادي ، تكفي للدلالة على ان الخوف من الارهاب بات يفقد مكانته . وقد كانت الاضرابات العمالية العديدة التي شهدتها ايران في السنة الماضية ، بمثابة شهادات على الوضع الاجتماعي والاقتصادي الذي بات لا يطاق بالنسبة للجماهير الكادحة . اضافة الى كونها شهادة على تطور النضالات العمالية في ايران .

■ ان الاراضي الزراعية اصبحت لا تتجاوز ١٢ بالمائة من المساحة الاجمالية ، لكن فئة المزارعين تشكل ٥٣ بالمائة من السكان . ولا تتجاوز مساهمة الزراعة في الانتاج القومي ، اكثر من ١٣ بالمائة ، ويتوقع ان تستمر في الهبوط ، نتيجة تدهور الاوضاع الاجتماعية . وقد ادى ذلك الى نمو ظاهرة الهجرة الفلاحية من الريف الى المدن بحثا عن مورد رزق . والتي ادت بدورها . وعلى ضوء ارتفاع كلفة المعيشة ، الى نمو ظاهرة احزمة الفقر في المدن او حولها . والى ارتفاع نسبة البطالة . والى خلق ازمة اسكانية حادة .

■ ان ٦٣ بالمائة من السكان الذين تفوق اعمارهم سبع سنوات . هم اميون - اي ما يساوي ١٥ مليون نسمة ! - وذلك باعتراف وزير سابق في سنة ١٩٧٦ !

■ في ايران يوجد ٥٠٣ مستشفيات لعدد سكان يزيد على ٣٣ مليون نسمة . وعدد الاسرة فيها ، لا يصل الى ٤٠ بالمائة فقط من العدد اللازم !

■ وفي ايران يوجد فقط ١٤٤٤٠ طبيبا . او طبيب واحد لكل ٤٥٠١ شخص . وفي بعض المحافظات ، يوجد طبيب واحد لكل ٨٠٤١ شخص . ويوجد طبيب اسنان واحد لكل ١٧٠٩٥ شخص . وهناك مناطق في ايران يوجد فيها طبيب واحد مقابل كل ١٤٠ الف شخص !

ومن المثير للاهتمام مقارنة هذه الحقائق بالحقيقتين التاليتين :

١ - ان عدد الخبراء العسكريين الاميركيين في ايران يزيد ثلاثة اضعاف تقريبا عن عدد الاطباء الايرانيين . اذ هناك ٣٥ الف خبير ومستشار اميركي يتقاضون رواتبهم التي تصل الى حد ١٢ الف دولار شهريا في عدد من الحالات ، من الحكومة الايرانية ! - هذا بينما لا يزيد معدل دخل العامل الايراني عن ٩٠٠ تومان في الشهر ، او ما يعادل ١٢٠ دولارا !

٢ - ان رواتب هؤلاء الخبراء والمستشارون الاميركيون التي تدفعها لهم الدولة الايرانية ، تبلغ ١٧ مليار تومان (الدولار ٧ تومانات) سنويا ، هذا ، بينما الميزانية المخصصة للتربية والتعليم والشؤون الصحية ، لا تتجاوز ١٣ مليار تومان ، اي اقل من رواتب المستشارين الاميركيين (بحسب صحيفة اطلاعات الايرانية ، ٣ شباط ١٩٧٥) .

ان اعطاء الاولوية لسياسة التسلح على حساب التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، وتقديم طائرة الفانتوم على فتح مدرسة او توفير طبيب ، هي السياسة التي اشعلت في السابق ، وتشعل اليوم فتيل نقمة الجماهير الشعبية الكادحة في ايران ، وهي السياسة التي يحفر بها نظام الشاه قبره بيده . صحيح ان دور الدركي في المنطقة الذي يلعبه هذا النظام للمصالح الامبريالية سيجعل مسألة دعمه ومساعدته على البقاء بمواجهة الانتفاضات الشعبية ، مسألة واردة بالتأكيد . فنظام الحكم الايراني هو القوة العسكرية الاقليمية للامبريالية الاميركية في المنطقة الغنية بالنفط ، ذات الاهمية الاستراتيجية بالنسبة للمعسكر الغربي الرأسمالي . ولكن ايضا الانتفاضات الجماهيرية الاخيرة ، اظهرت تطورا مميزا في نضالات جماهير الشعب الايراني ضد النظام الذي يأسره داخل حلقة البؤس والتخلف . والقلق من هذه الظاهرة السامية لم ينحصر في طهران بل كان سائدا في عدد من العواصم الغربية . وليست واشنطن اخرها ...

طلبة ايران يواصلون نضالهم

● نظم الطلبة الايرانيين في طهران اضخم مظاهرة لهم منذ سنوات ضد نظام الشاه ، حيث اصطدموا بقوات القمع الايرانية التي استخدمت العصي وقنابل الغاز والمياه ضدهم .

وتقول الصحف الايرانية ان ٨٣ طالبا على الاقل قد اعتقلوا وان العشرات قيد المطاردة الان .

وتضيف هذه الصحف ان ٦٥ طالبا ايرانيا اخر اعتقلوا بتهمة توزيع منشورات وترديد شعارات معادية للحكومة في قرية بالجبل قرب العاصمة طهران .

كذلك قالت الصحف الايرانية ان ثلاثة طلاب على الاقل اصيبوا اثناء المصادمات مع الشرطة وان (١٨) طالبا اخر اعتقلوا في ست مدن ايرانية اخرى لاشتراكهم في تظاهرات عنيفة لتوزيعهم منشورات معادية للشاه .

والجدير ذكره ان تظاهرات الطلبة الايرانيين جاءت عقب التظاهرات الصاخبة والعنيفة التي شهدتها العشرات من المدن الايرانية ضد نظام الشاه ، مطالبة بالديمقراطية واطلاق سراح المعتقلين ، حيث دمر المتظاهرون العشرات من المصارف التي تمتلكها العائلة الحاكمة وكذلك مقرات حزب السلطة - راستاخيز .